القيم الأخلاقية والا جتماعية المتوارثة لدى القبيلة المغرب أوسطية

The moroal and social values inherited by the Middle Maghreb tribe

1– د. العيد بكري*، المركز الجامعي الشهيد سي الحواس . بريكة (الجزائر)

Laid20192019@hotmail.com

2– أ.د مفتاح خلفات، جامعة محمد بوضياف . المسيلة (الجزائر)

meftah.khalfat@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/06 تاريخ القبول: 10 / 04/ 2022 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص: شكلت القبلية في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطية وحدة انتمائية ذات خصوصية تدبر شؤون الجماعة على المستوى الداخلي والخارجي، تتمتع بالقوة والجاه والتضامن اللذان يجعلان من أفرادها جمعا متراصا، قوامه الاتصال برابطة النسب والقرابة والحلف والولاء في ظل غياب سلطة يمكنها القيام بمثل هذه الأدوار، ولا جدال أن للمجال الجغرافي التي حازته القبيلة كان له أثره على نفسية ساكنتها حيث ساد بين أفرادها إحساس ضرورة تأمين العيش والبقاء في بيئة تتعرض مواردها للجفاف والنضوب ولانعدام وسائل التحصين في رد العاديات مما دفعها إلى التجمع للدفاع وتأمين الحاجيات، وتجسدت القيم القبيلة في المغرب الأوسط في النصرة والاعتزاز بالانتماء إلى القبيلة جمعتهم المصلحة المشتركة والتعاون على كسب المعاش، وتوفير الحماية في ظل الملكية الجماعية، ومهمة الجماعة في ظلها النظر في ما يقع من مشاكل بين أفرادها، وما من شأنه أن يهدد استقرارها، وإرادة الجماعة ملزمة لأفرادها، وجمعت أفرادها البساطة في العيش، ودفعتهم الظروف داخلها إلى اعتماد السند الجينولوجي إلى جانب المكون القيمي في الحفاظ على تماسك القبيلة ووحدتها، وتهيأت للملك بعد أن خفت حدة العصبية، ومثلت السلطة المركزية في بعث وتأسيس الدول ببلاد المغرب الأوسط.

كلمات مفتاحية: القبيلة.، الالتحام.، التضامن.، الاتحاد.، المغرب الأوسط.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

In The middle Maghreb, tribalism formed an affiliation unit during the medieval period that ran external and internal affairs of the enjoying strength, prestige and solidarity which made its members of tight group based on the connection of loyalty and alliance in the absence of authority, The geographical area had an Impact on the inhabitants psychology in the tribe such as the feeling of securing life and survival with such drought, depletion and the lack of means of fortification which lead them to gather to defend and secure their needs, Tribal values m in the central Maghreb, were embodied in the victory and the pride of belonging to the tribe which made them cooperating in earning a pension and providing protection in the light of collective ownership looking into the problems that occur among its members which would threaten its stability the group is obliged to its members gathering simplicity in living and the circumstances that pushed the; to have relation of solidarity, the cohesion of the tribe that facilited the foundation of, the most countries in the middle Maghreb.

Keywords: the tribe., alailtiham., altadamun., the Union., Middle Maghreb.

مقدمة :

يعد موضوع القبيلة من المواضيع الحيوية كونه يفتح الباب على جميع القراءات التي تنتمي إلى حقول معرفية مختلفة، ولا تكاد أغلب الدراسات المهتمة بتاريخ المغرب الوسيط في شتى المجالات تغفل عن الإشارة إليها، ذلك أن دراسة الموضوع خلال هذه الفترة يكتنفه الغموض والتعقيد بسبب شح المادة التاريخية، عدا ما كتبه ابن خلدون (ت 808هـ / 1404م)، وما هو موجود من نتف متناثرة في كتب الأسطوغرافيا التقليدية، مما يصعب مهمة الباحث الذي يجد نفسه مضطرا بأن يتعامل ما جادت به بعض الكتب الفقهية من أخبار عن استقرار بعض القبائل، ورغم ذلك فقد فتحت الباب لدراسة موضوع القبيلة، وأصبحت مجلا خصبا للبحث من زوايا نظر عديدة، ووفق مقاربات مختلفة.

قامت الحياة السياسية داخل القبيلة على ثلاث عناصر هي، الأرض، النسب، العصبية، التي تشمل مجموعة من العشائر التي تؤلف مجتمعا منظما، وهي بذلك وحدة انتمائية ذات خصوصية تدير شؤون الجماعة على المستويين الداخلي والخارجي، تتمتع بالقوة، والجاه، والتضامن، اللذان

يجعلان من أفرادها جمعا متراصا، قوامه الاتصال برابطة النسب والقرابة والحلف والولاء، يفقد الفرد فر ديته ويتقمص شخصية القبيلة، في ظل غياب سلطة يمكنها القيام بمثل هذه الأدوار.

غير خاف أن المجال الجغرافي التي حازته القبيلة كان له التأثير النفسي على ساكنتها، حيث سادت بين أفرادها إحساس ضرورة تأمين العيش والبقاء، في بيئة تتعرض مواردها للجفاف والنضوب، ولانعدام وسائل التحصين في رد العاديات دفعتهم هذه الظروف إلى التجمع للدفاع وتأمين الحاجيات.

يثير موضوع القيم المتوارثة لدى القبيلة عناصر الوحدة والالتحام والمساواة خلال العصر الوسيط، العديد من التساؤلات مفادها؛ **فيما تتمثل القيم القبيلة بالمغرب الأوسط؟ وهل حافظت القبيلة على تلك القيم؟ أم أن هنالك عوامل ساهمت في إضعافها وزوالها؟ وما دور تلك القيم في الحفاظ على تماسك ووحدة القبيلة؟ وهل ساهمت تلك القيم في تجذر بنية القبيلة؟ وما دور هذه القيم في حل النزاعات الحاصلة بين أفراد القبيلة خاصة في علاقات الاستغلال؟**

إن محاولةالإ جابة عن هذه التساؤلات يدفعنا إلى عرض أهم القيم المتوارثة لدى القبيلة، والتي تتمثل في النصرة والدفاع مع الاعتزاز والفخر بالأصول، والإحساس بالانتماء حصل بطول المعاشرة، وجمعت أفرادها المصلحة المشتركة والتعاون على كسب المعاش في ظل سيادة الملكية الجماعية، وهذا التضامن زاد من تماسك القبيلة ووحدتها وقوتها، وبها تقوت سلطتها وتهيأت لقيام الملك.

1. مفهوم القبيلة:

1.1 . التعريف اللغوي:

يعرف علماء اللغة القبيلة على أنها جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد وتلي القبيلة العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، وأخذ قبائل العرب من قبائل الرأس لاجتماعها، وجماعتها الشعب والقبائل دونها[1]، أو تقابل العمائر، واستوائها في العدد فهي بمنزلة الصدر من الجسد[2].

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، ج11، دار صادر، بيروت، 1444هـ، ص 541.

[2] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ص302.

2.1 . التعريف الاصطلاحي:

اختلفت تعاريف القبيلة لاختلاف العناصر المشكلة لها وزوايا التخصص ومجالاته، فتعرف على أنها جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد مشترك انحدروا منه، ويسكنون منطقة واحدة، يجتمعون لمواجهة التحديات من عدم توافر الأمن وقلة المعيشة، وضرورة الانتماء[1].

كما تعرف بأنها مجموعة من العشائر، تؤلف مجتمعا منظما له مجال جغرافي مشترك، يحدد بمجال تراب القبيلة، وهي تشكل وحدة اجتماعية تحكمها روابط دموية تعود لأصل واحد، نشأت لظروف أملتها المصلحة والدفاع المشترك[2]، بينما تعرفها الدراسات الحديثة[3] على أنها مجتمع قائم بذاته منتظم، وهي تمثل الإطار الذي تمارس فيه نشاطها الجماعي والمعاشي من رعي وصيد وزراعة.

ويستفاد من خلال هذه التعاريف أن الحياة القبلية قامت على ثلاث عناصر أساسية هي الأرض والنسب والعصبية، فالأرض موطن القبيلة ووسيلة الإنتاج، والنسب يتمثل في انتساب أفراد القبيلة إلى جد مشترك، والذي تمخض عنه ظهور العصبية بين الأفراد المنتميين إلى هذا الجد أو ذاك[4].

2 . دور القبلية في قيام الكيانات السياسية ببلاد المغرب الأوسط:

تأثرت القبيلة المغرب أوسطية وما حملته من قيم أخلاقية واجتماعية وتفاعلها في ظل العصبية القبيلة، والتي شكلت أحد الأسس الهامة التي قامت عليها الحياة القبلية، والتي ولدت نوعا من التضامن بين عناصرها، لذا أرى أنه من المفيد جدا أن نتحدث عن العصبية القبلية في المغرب الأوسط ودورها في قيام الكيانات السياسية ونقصد بذلك الدولتين الرستمية والدولة الفاطمية.

---

[1] عبد الكريم جودت يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط ما بين القرنين الثالث والرابع الهجريين 9 . 10م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص250.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص220. محمد الترسالي، القبيلة الصحراوية قراءة سوسيو أنثروبولوجية في النشأة والتطور، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج10، ع2، 2019، ص44.

[3] نور الدين النوري، القبيلة والسلطة ببلاد المغرب الأوسط الرستمي، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج1، ع4، 2020، ص36.

[4] المرجع نفسه، ص36.

النزعة القبلية في معناها تغليب الولاء للمجموعة القبلية، مما يخلق بين الجماعة تضامنا[1]، والعصبية أمر طبيعي في البشر في الدفاع والنعرة عن ذوي القربى، لأن ذلك كان في النفس البشرية بصورة طبيعية في أبعادها النفسية وأثارهاالا جتماعية[2]، يقول ابن خلدون: « وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه، أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك، نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا، فإن كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا، بحيث حصل به الاتحاد والالتحام، كانت الوصلة ظاهرة، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها، وإذ بعد النسب بعض الشيء، فربما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة، فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه »[3].

ويؤكد أن جدية العصبية في الدفاع تكون بالانتماء إلى نسب واحد، وتكون متماسك، وتدخل الرهبة في قلوب العدو، وبذلك يمتنع العدوان، وهي تقوم بنفس الدور الذي تقوم به الأسوار والجند في العمران الحضري في مواجهة العدو[4].

وبالتالي فإن العصبية القبلية كان لها دورا في تأسيس الدول ببلاد المغرب بداء من القرن 2هـ / 8م للربط، فقد قامت الإمارة الرستمية بتاهرت على عصبية قبلية غلفت بالدعوة الدينية، فقد نجح عبد الرحمن بن رستم (160 ـ 171هـ / 776 ـ 787م) في تأسيس رابطة مذهبية بين اتحاد قوي يضم قبائل لماية ولواتة ونفزاوة ومثلت الدعم البشري للسلطة المركزية وحدتها الدعوة الإباضية[5].

---

[1] محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، سلسلة أطروحات الدكتوراه 41، ط1، بيروت، د.ت، ص61، 62.

[2] الترسالي، المرجع السابق، ص46.

[3] ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن والحواشي: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص160.

[4] المصدر نفسه، ج6، ص161.

[5] المصدر نفسه، ج6، ص147.

وساهمت العصبية في ظهور الأمصار والتي أسسها قبائل ريفية إثر سيطرتها على السلطة، فقد هاجرت إليها عشائر وفروع من قبائل كبرى، بقيت متصلة بقبائلها، التي استمرت تعيش في العمران البدوي، وإذا بحثنا عن العناصر السكانية في هذه الأمصار، فإننا نجدهم أغلبهم من القبائل النازحة من الريف، فقد أقامت لماية، ولواتة، وهوارة، بعد تأسيس تاهرت، بقبلها وبغربيها زواغة، وكذلك أقامت حوليها مطماطة وزناتة ومكناسة، وقبائل أخرى تنزح إليها وقت الربيع[1].

ومسكت قبيلة نفوسة بزمام السلطة بتاهرت « وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب في الأسواق »[2]، ووصفت بأنها: « أطوع رعيا بالدولة الرستمية وأكثرها عونا...، وفي ذلك يقول الإمام... إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة »[3]، وأصبحت سيوفها الدرع الواقي للإمام، والمحاربة لمخالفيه، فهم يمثلون الأغلبية السكانية لمدينة تاهرت، وشكلت اليد اليمنى للرستميين[4].

وكانت نهاية الدولة على يد الفاطميين التي قامت دولتهم عصبية كتامة، التي تميزت بالقوة والنفوذ، بعد أن تهيأ المجتمع القبلي الكتامي لتقبل الدعوة إلى آل البيت[5]، فهي كما وصفها ابن خلدون « من أهم قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك »[6]، وكان دخولهم في الشيعة الرافضة، أن ملكوا المغرب ومصر وبلاد الشام[7]، ومن جهة يذكر ابن خلدون دور قبائل المغرب الأوسط

---

[1] الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، دار المعرفة، الكويت، 2005، ص183.

[2] ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص55.

[3] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، **طبقات مشايخ المغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، الجزائر، 1979، ص87.

[4] نور الدين النوري، المرجع السابق، ص38.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص195.

[6] المصدر نفسه، ج6، ص195.

[7] ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي (حوالي 368هـ / 978م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص93. محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 2004، ص217.

في إقامة الدول بقوله: « وبعد ذلك هوارة وصنهاجة وبعدهم كتامة وما أقاموا من الدول التي ملكوا بها المغرب والمشرق وزاحموا بني العباس في ديارهم»[1].

وكان تغير موازين القوى لصالح الفاطميين قد حفز زيري بن مناد على التحيز لهم، فكانت حكومة صنهاجة معترفة بالسيادة الفاطمية، فكان هذا الولاء سببا في إقامة علاقة قوية بين الطرفين، حيث توج بتمكين الصنهاجيين من إدارة شؤون المغرب من طرف الخليفة الفاطمي المعز[2].

وحدث وإن انفصل فروع من الصنهاجيين القائمين بالمهدية فأسسوا دولة بن حماد بالقلعة[3]، ونقص الصدام وانتهى بعد قيام دولة المرابطين الجامعة، وزحف العرب الهلالية، جعل البربر يشعرون بخطر جماعي، فاختلطت صنهاجة بكتامة، وكتامة بزناتة، وخف الشعور القبلي على المستوى الشعبي[4]، ولئن كانت هذه القرابة القبلية الحقيقية أو الوهمية لا تحول دائما دون الصراعات بين الأخوة، إلا أنه بدون هذه الطريقة يظل كل تحالف غير متجانس معرضا للانفصام[5]

3 . القيم الأخلاقية والا جتماعية داخل القبيلة المغرب أوسطية.

تحلى الأفراد داخل القبيلة المغرب أوسطية بجملة من القيم الخلقية والقواعد السلوكية، والتي ارتبطت بمجموعة من العادات والتقاليد والأعراف التي تجذرت داخل المجتمع منها: الوحدة والتلاحم والتحلي بالفضائل الحميدة والكرم والشجاعة والنجدة.

1 .3 . الوحدة والتلاحم:

يقوم المجتمع القبلي على المساواة والعدالة، التي تحققت بسبب الملكية المشتركة وتقسيم العمل، حيث كان لكل قبيلة إقليم معين تمارس فوقه حقوق الملكية، والبناء القرابي للقبيلة مبني على أنها الدعامة الأساسية للحياةالا جتماعية، وكنمط معيشي قائمة على الأرض والماشية، الشيء الذي

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص136.

[2] الميلي، المصدر السابق، ص204.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص227 . 228.

[4] عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1991، ص236.

[5] الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م**، ترجمة: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ص33.

يجعل منها وحدة اجتماعية[1]، تستند على الملك الجماعي[2]، ويحدد صاحب مؤلف مفاخر البربر « وكان مذهبهم مذهب الأعراب إنما يسكنون الجبال والبراري والدهاليز والصحاري والرحل، ويتبعون القطر، ويتنقلون بمواشيهم وإبلهم كفعل الأعراب »[3].

ولا تتحد القبيلة بالنسبة إلى ابن خلدون بكونها جماعة متفرعة عن جد واحد، كما لا تتحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم، إن النسب في معناه الضيق لا يعدوا أن يكون معطى وهميا لا يصمد أمام واقع الاختلاط، وعلاقات الجوار والتعايش في المكان[4].

ويؤكد على دور الأرض كمحور التحام الجماعة، وتذكي الانصهار ضمن الجماعة ويعزز تلاحمها الخارجي الخطر الخارجي، سواء لوجود عصبية زاحفة من خارجها، أو تدخل من سلطة مركزية[5]، وكانت ملكية الأراضي مشتركة بين القبائل، وخاصة المراعي في منطقة التلول والصحراء تلعب دورا هاما في حياة الجماعة، حيث أن شوكة العصبية القبلية لم تسمح للسلطة السياسية بافتكاك الأراضي[6]، ويشعر أفراد القبيلة أن الأرض التي يكسبون منها عيشهم هي أرضهم ما داموا يقيمون فيها، وكل من حاول الاقتراب منها فيعتبر من طرف العصبة أو القبيلة عدوا يجب دفعه[7].

وشكلت الملكية الجماعية في المجال الذي حازته أوربة وأوريغة وكتامة وزواوة، وصنهاجة، وهوارة المستقرة في القرى الساحلية والتلية والجبلية وهي من القبائل البرنسية ومارست الأنشطة

---

[1] محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص105.

[2] الترسالي، المرجع السابق، ص45.

[3] مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للنشر للطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2005. ص196.

[4] محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص56.

[5] المرجع نفسه، ص56.

[6] محمد يحي مسلم، السلطة في المجتمعات البدوي، **مجلة أبحاث**، مج2، ع5، جامعة الجزائر، الجزائر، 2018، ص156.

[7] محمد عابد الجابري، **العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1982، ص212.

الزراعية، وتربية الماشية[1]، واعتمدت أيضا على تربية الماشية في المناطق المستفيدة من الماء، والكلأ في المناطق الجبلية والأودية[2].

ويشير ابن حوقل إلى اهتمام سكان بلاد المغرب بتربية الماشية « والمال فيهم من الماشية كثير غزير »[3]، وممارسة أهلها للحرث والزرع « ولهم مزارع وأراضون مباركة والحرث بها قائم الذات والإصابة في زروعها موجودة »[4].

أما المجال الذي حازته قبائل لواتة ونفوسة وزناتة فكانت حياتهم قائم على الترحال والبداوة معتمدين في غذائهم على ألبان المواشي ولحومها منتجعين بمنابت الكلأ، مرتادين لمواقع القطر ، باحثين على أماكن الخصب، وأماكن الرعي[5]، ويصف الإدريسي نمط حياتهم « وهم قوم رحالة، ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيرهم »، وامتلاكهم الأراضي الزراعية « وهم أصحاب هذه الفحوص »[6].

والفرد في ظل القبيلة يعيش حياة الصراع من أجل البقاء غير قادر على توفير الحماية لنفسه بعيدا عن القبيلة، والتي توفر له السلامة لنفسه وممتلكاته من جهة[7]، ومن جهة أخرى في صراع مع الطبيعة، من أجل تحصيل المعاش الذي هو الذي في الغالب ما ارتبط بالظروف الطبيعية، حيث يحصل الاستقرار بفترة الأمطار المطيرة، وتضطر القبيلة إلى الترحال والتنقل أيام الجفاف والقحط،

---

[1] موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص77.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1994، ص24.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص97.

[4] الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشريف (ت 558هـ / 1162م)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة بريل، ليدن، 1866، ص92.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص149. موسى لقبال، المرجع السابق، ص77.

وابن العبري غريقوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983، ص158، 159.

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ص88.

[7] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ص225.

بحثا عن الماء، والذي شكل الماء الدعامة الأساسية في الاقتصاد، إذ حدد المجالات الرعوية والموسمية للقبائل الرحل، وساهم في تحديد مواقع التجمعات السكانية، وهذا ما جعل البكري لا يذكر منطقة، التي تقطنها قبيلة من القبائل دون أن يذكر المياه الموجودة بها[1].

وكان استقرار القبائل مرتبط بتوفر المواد المعيشية، فإذا أحست بنضوب الماء، واضمحلال الكلأ، اضطرت إلى الهجرة إلى مناطق أخرى، فقبيلة مزاته، كانت تتنقل إلى مدينة تاهرت وقت الربيع، ومزاتة وضريسة في فحص باغاية يظعنون في زمن الشتاء إلى الرمال[2].

واعتمدت القبائل العربية بعد دخولها أرض المغرب الأوسط خلال القرن 5هـ / 11م، على الزراعة والرعي هي الأخرى، واضطر أفرادها إلى التنقل للبحث عن مجالات خصبة، مما جعلها تصطدم بتجمعات مالكة للأراضي، ونظرا لحياة البداوة، ظلت بمنأى عن السلطة المركزية لا تخضع لأي مراقبة ولا تدفع الضرائب، وتكتفي بمجرد الولاء والتبعية الإسمية[3].

وأخذت الملكية الجماعية صورة حقيقية بعد خف التعصب القبلي، وتحقق الاتحاد القبلي بين فروع زناتة، فكان اجتماع شيوخ القبائل في منطقة تاهرت واختيارهم لعبد الرحمن بن رستم (160 . 171هـ / 776 . 787م)، أمرا عليهم، واجتماع قبيلتان وأكثر في مدينة واحدة، فكانت مدغرة، وبنو دمر ومديونة، وبنو واريفن، تسكن معا مدينة الخضراء[4]، وأصبحت ملكية الأرض مشتركة لجميع الأفراد يتشاركون في العمل بتنظيم نشاطهم الاقتصادي، ويتعين عليهم مسؤولية الدفاع عنها حين يتهددها الخطر[5].

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، ص 22.

[2] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص432.

[3] أمين كرطالي، **سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط**، دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2017 . 2018، ص14.

[4] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص255.

[5] المرجع نفسه، ص252.

وشكلت طبقة الفلاحين النواة الرئيسية التي ساعدت على ازدهار الاقتصاد القبلي، وارتبط نشاطهم بخدمة الأرض بتخصيب التربة وإصلاح قنوات الري[1]، وكانت الملكية الجماعية أساس وحدة القبيلة وتماسكها، فقد كان رئيس القبيلة يشرف بمساعدة مجلس القبيلة[2]، وتحقق عنصر تلاحم القبيلة بسبب خضوع أفرادها لسلطة شيخ القبيلة، والتي تتميز بمبدأ التناوب والتكامل، ذلك أن كل قبيلة تتكون من عد عشائر تنتخب الرئيس من أحد زعماء تلك العشائر مرة كل سنة، والعشيرة التي تقدم الرئيس لا يصون أفرادها مسألة الحفاظ على الأمن داخل القبيلة، فإن الفقهاء والصلحاء عموما هم من يضمنون استمرار الأمن والاستقرار[3].

وكان لكل قبيلة شيخها، يتولى رئاستها، وإدارة شؤونها من ذوي العصبيات الكبيرة ذات جاه، تشد أزره، وتعينه على تنفيذ مطالبه، ويساعده مجلس قبلي، بإمكان العامة حضوره، والغلبة فيه لذوي الحج والألسن الطلقة، يجتمعون ليتدارسوا شؤون القبيلة، من خلافات ناشبة عن أراضي المرعى، وعلاقاتهم بالقبائل المجاورة[4].

كما لهم دور في زرع قيم التسامح والطيبة، وإعادة رسم العلاقات بين أفراد المجتمع، من خلال مجالس المصالحة التي كانوا يعقدونها بين المتخاصمين[5]، وكذلك الحال في حال وقوع خلاف بين الزوجين، فكان تدخلهم بعقد مجلس للصلح حتى يحصل التراضي[6].

---

[1] مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6 . 9هـ / 12 . 15م)**، المؤلفات للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص273.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ص 220. محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص49.

وأمينة كرابية، **المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون: دراسة نظرية تحليلية من خلال المقدمة**. مجلة أفاق، ع5، 2019، ص140.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، ص223.

[4] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص251.

[5] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص303، 304.

[6] مؤلف مجهول، **مخطوط سيرة زواوة**، مخ رقم: 1024، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ورقة2و.

وهو بذلك لا يختلف عن شيخ القبيلة العربية الذي يكون قد جاوز الخمسين ذا تجربة وبصيرة وعلم بأنساب القبيلة ومجالاتها، دربته الحياة على مجالس السلاطين والرؤساء يحظى باحترام الجميع، وله قدرة على الفصل في النزاعات وتعيين مواضع الرعي، ومواعيد الحل والترحال، وتوفير أسباب المعيشة، والقبيلة تحكمها مجموعة العوائد والأعراف المتوارية فرضتها طبيعة عيشهم وأسلوب حياتهم، يشاركه في شؤون القبيلة مجلس القبيلة ويتكون من رؤساء العشائر[1]، وكان أبناء القبيلة العربية يخضعون لما هو متعارف بينهم، وملزما لأفراد القبيلة، وكل من حاد عنه يطرده من أهلة، ويتبرأ منه قومه منه، ويعرض للطرد ويصبح صعلوك[2].

وأفراد القبيلة يحترمون شيخهم ويطيعونه، ويلتزمون بالحكم الصادر عن مجلس القبيلة، لاقتناعهم بعدله، وإلا لكان بإمكانه وبكل سهولة أن يعتزل قبيلته، دون أن ينال أي عقاب بدني، ويرجع هذا إلى صفات البدوي نفسه، ممثلة في حبه للحرية، وفي بساطته، وصراحته، وصدقه، وعدم انصياعه للإهانة[3].

عرف الفرد في ظل القبيلة بأداء المسؤولية، فكان كل من تهاون من أعضاء مجلس القبيلة أومن قصر في عمله يحاسب حسابا عسيرا، إذا لم يقم بواجبه أو سولت له نفسه التلاعب بأموال القبيلة، وفي حالة ثبوتها، يلتزم بأداء ما ضيعه من ماله الخاص[4]، وهو ما يؤكده ابن حوقل بقوله: « وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل، يطيعونهم فلا يعصونهم، ويأمرونهم فلا يخالفونهم »[5]، أما ابن خلدون فقد ذكر « وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وإقبال، وأمراؤها لا يرامون بذل »[6].

---

[1] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص103. محمد يحي مسلم، المرجع السابق، ص161، 162.

[2] محمد حسن، **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، دار الرياح للنشر، ط1، تونس، 1986، ص34.

[3] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص252.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ص 242.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، 199، ص97.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص140.

ثم انحصرت الزعامة القبلية في الأسرة الحاكمة، وتعاقب أبنائها على حكم الدولة فصاحب الاستبصار في معرض حديثه عن قلعة بني حماد وملوكها من بني حماد من صنهاجة يقول « وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة، وهم كانوا ملوك إفريقية وأيام بني عبيد، فلما رحلوا إلى مصر، ولو على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات، ثم ولي ابنه بعده ابنه حبوس، فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات، فولى بعده ابنه باديس »[1].

ومن ملوك المغرب مناد بن منقوش التلكاتي الصنهاجي ملك إفريقية والمغرب[2]، ومن مشاهير صنهاجة زيري بن مناد ملك هو وبنوه مائتي سنة متصلة، بنو بجاية والجزائر ومليانة والقلعة وكان أخر ملوكهم بإفريقية يحي بن عبد العزيز وعليه دخل الخليفة عبد المؤمن بن علي بجاية[3].

وكانت رئاسة ولهاصة التي كانت تستوطن بسيط بونة في بني عريف، حيث أشار ابن خلدون زمنه، كانت مشيختها، في ولد حازم بن شداد بن خرام بن نصر بن مالك بن عريف، وقبلهم لعسكر بن بطان منهم[4].

استمرت الزعامة داخل القبيلة إلى فترة متأخرة للفترة الوسيطية، حيث يشير ابن خلدون إلى مشاهير زعماء البربر في عهد الدولة الزيانية « وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الثانية يغمراسن بن زيان سلطان...، وثابت بن منديل أمير مغراوة أهل الشلف، ووزمار بن إبرهيم زعيم بني راشد » ثم يصفهم « فكان من أرسخهم في تلك الخلال، قدما وأطولهم فيها يدا، وأكثرهم لها جمعا »[5].

أو دخول قبيلة تحت زعامة شيخ لقبيلة مشهورة، فبنو ريحان وبنو باديس من الزاب، دخلوا في طاعة بني مزني صاحب بسكرة، وفرع من لواتة، كانوا ينزلون بسيط تاكرارت من أعمالها، ويعتمرونها فدنا لمزارعهم ومسارح لأنعامهم، ومشيختهم لهذا العهد في ولد راجح بن صواب منهم[6]،

---

[1] مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 198، ص167.

[2] المصدر نفسه، ص144.

[3] المصدر نفسه، ص145.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص151.

[5] المصدر نفسه، ج6، ص 137.

[6] المصدر نفسه، ج6، ص 155.

وبحكم إشراف القبائل العربية على مجالات واسعة من بلاد المغرب الأوسط، كان عليها اختيار رجالا أكفاء يمثلون السلطة الفعلية، التي تشرف على تلك التجمعات السكانية البعيدة عن قبضة السلطة المركزية[1].

والفرد داخل القبيلة يصرف كل ولائه وجهده، وطاقته، مقابل الحماية، ومساعدته، فتجعله يشعر بالأمن والطمأنينة كلما احتاج إلى ذلك[2]، فمكانة الأفراد التي تستوجب الانصهار في القبيلة، تجعلهم لا يعبرون عن إرادتهم الخاصة، بل تتطلب تعبيرهم عن فعلهم الفردي والجماعي من خلال إرادة القبيلة، فهم يتصرفون بالنيابة عنها، فالفرد حينما كان يغزو أو يمارس الثأر، فإنه لا يفعل ذلك لنفسه فقط، وإنما من أجل القبيلة، وإنه يمارس بذلك فعلا اجتماعيا سياسيا نابعا من قهر الجماعة الذي يمنعه من ممارسة فعل مغاير لذلك الفعل[3].

وقلما يستطيع الفرد اكتساب مصالح شخصية داخل القبيلة، لأن هذه الأخيرة، تعتبر أي ضرر يلحق الفرد ضررا يمسها مباشرة، فتقوم برده ومقاومته، لكن في الوقت نفسه، تعد كل مصلحة أو منفعة أو كسب حققه الفرد ملكا لها من الناحية المبدئية على الأقل يحق لها التصرف فيه أو الاستفادة منه بكيفية مطلقة، كما لو كانت القبيلة شاركت في ذلك الكسب والمنفعة، وكل من حاول الخروج عن تقاليد قبيلته يصبح عضوا غير مرغوب فيه، بل يتعرض للطرد والنبذ[4].

وقد يلجأ الفرد إلى المدينة هروبا من واقع الخوف والقلق، كأن يكون طريدا من طرف قبيلته بسبب جريمة ارتكبها، فيلجأ إلى المدينة حيث تنقطع روابط بقبيلته، لكنه يفقد حقوقه داخل قبيلته الجديدة ودوره الحربي مهما بلغت درجة كفاءته القتالية، لأن العرف القبلي يفرض أن يكون المقاتل من صلب القبيلة[5].

---

[1] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص101.

[2] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص250، 251.

[3] محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص108.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، ص26.

[5] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص 434.

وهناك حالتين من حياة الجماعة، تظهر الأولى في حالة الخطر وفقدان الأمن، فيسود التضامن والتوحد لمواجهة التحديات الخارجية، وتظهر الثانية في حالة السلم والهدوء، حينما يدب الصراع بين الفروع القبيلة والقسمات المجاورة[1].

3 . 2 . الشجاعة والنجدة:

تحلى الأفراد داخل القبيلة بقيم الفروسية والشجاعة وروح الإقدام، تمثلت في البأس والا عتزاز بالسلاح والخيل، و ارتبطت بمهمات تأمين العيش، والدفاع عن النفس في غياب السلطة[2]، وقد أشار ابن خلدون أن البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضر، لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب[3]، وكانت قيما اتصف بها الأفراد والزعماء، وملوكا وقبائل « وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية، ما شاء من قوة وعدة وعدد، وملوك رؤساء، وإقبال، وأمراؤها لا يرامون بذل»[4].

وقد نوه عن التحام الصفوف وبروز الزعامات « اعلم أن كل حي أو بطن من القبائل وأن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة وهي أشد التحاما من النسب العادي والنعرة في النسب الخاص أشد والرياسة وإنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل »[5].

اشتهرت بعض القبائل البربرية بالفروسية والبسالة والا عتزاز بالسلاح والخيل والرجولة والكبرياء ولهذه القيم علاقة بظروف المعيشة وتأمينها[6]، ومن هذه القبائل ورفجومة « وكان ورفجومة هؤلاء أوسم بطون نفزاوة، وأشدهم بأسا وقوة »[7]، وقبيلة مغرواة المساكنون لبني يفرن وجمهورهم بالمغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان[8].

---

[1] محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص43.

[2] محمد يحي مسلم، المرجع السابق، ص154.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص155.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص140.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص164.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص155.

[7] المصدر نفسه، ج6، ص140.

[8] المصدر نفسه، ج7، ص33، 34.

تميزت القبائل المحيطة بمدية جزائر بني مزغنة بأن « لهم حرمة مانعة»[1] وامتناعها عن السلطة الحمادية في تحصيل الجباية، حيث يذكر الإدريسي وفي خضم التعريف بقسنطينة والمناطق القريبة منها: « ومنه إلى سوق بني زندوى، وهو حصن في بسيط قليل الحصانة...وهذه القبيلة هم قوم يعمرون هذه الجهات، ولهم منعة وتحصن، وهم أهل خلاف، وقيام بعض على بعض، والجبايات التي لا تلزمهم لا تؤخذ منهم إلا بعد نزول الخيل والرجال عليهم في تلك النواحي، ومن عوائدهم التي هم عليها أن صغيرهم وكبيرهم، لا يمشي من موضعه إلى موضع غيره، إلا وهو شاكي السلاح، بالسيف، والرمح، والدقة اللمطية »[2].

وارتبطت بقيم الشجاعة عادة الأخذ بالثأر التي مارسها الأفراد والجماعات، في ظل انعدام سلطة تنصف المظلوم وسيادة الأعراف، والتي أثارت الفتن والنزاعات القبلية[3]، وقد قيل في المغاربة أنهم إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا وأن الحدة عشرة أجزاء منها في البربر وحدهم[4].

وكان سبب الانعزال والتمسك بالجبال منعة لدى بعض القبائل، وشجاعته أهلها في مواجهة السلطة، أن استعصى على السلطة الحاكمة إدارتها وإخضاع أهلها، ومن ذلك ما أشار إليه صاحب الاستبصار عن سكان ميلة « وبالقرب من ميلة، جبل العنصل يسمى اليوم جبل زلدوى، وهم قبائل كثيرة من البربر سكنوا بذلك الجبل ولهم خلاف كثير على الولاة، بسبب منعة جبلهم »[5].

وربما ارتبطت صفة الشجاعة بالنفرة والعدد، والعكس في حال القلة، ومن ذلك أن الإدريسي يحدثنا عن سكان جيجل حين تعرضهم للغارات النورمانية « ولما ظفر بها أسطول الملك المعظم روجار، ارتفع أهلها إلى جبل على بعد ميل من المدينة، وبنو هنالك مدينة حصينة، فإذا كان زمن الشتاء، سكنوا المرسى والساحل، وإذا كان زمن الصيف، ووقت سفر الأسطول، نقلوا أمتعتهم وجملة بضائعهم

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص97.

[3] الوزان أبو علي الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005، ص46.

[4] عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص308.

[5] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص166.

إلى الحصن الأعلى البعيد »[1]، فكانت قلة عددهم وعدتهم سببا في البحث عن مكان أمن لأنفسهم ولأموالهم، وهو الحال نفسه مع ساكنة مرسى الدجاج « وبشرها قليل، وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف، ومدة السفر خوفا من قصد الأساطيل إليها »[2].

عرفت القبائل البربرية التي توطنت بالجريد هي الأخرى، بالصولة، وقوة الشوكة، لذلك توافر زعماؤها وقوادها الحربيون، الذين لعبوا دورا تاريخيا هاما في المنطقة الممتدة من جبال الأوراس إلى أريغ وورجلان، ومن إفريقية إلى جبال نفوسة[3].

وكانت صفة الشجاعة أحد الوسائل لتأمين المعاش، وأسلوب لتنمية الموارد، وللحفاظ على موازين القوى، ومصدرا للضرائب، وإرضاء نزعة الجماعة لدى بعض المجموعات[4]، وهو ما ينطبق على القبائل العربية التي دخلت أرض المغرب الأوسط و استقلت في مناطقه وأقاليمه.

لذلك وصف الوزان القبائل التي استقرت في الجهة الغربية للمغرب الأوسط، والتي كانت في ولاء للدولة الزيانية و استخدامها في التحصيل والجباية « ويسكن هؤلاء العرب بجوار تخوم مملكتي تلمسان ووهران، وينتجعون نحو صحراء قرارة، ويستخدمهم ملك تلمسان في أعمال كثيرة، مقابل أجور تدفع لهم »[5]، ونفس الخدمة قدمتها قبيلة مسلم التي كانت تسكن صحراء مسيلة، التي تمتد باتجاه مملكة بجاية « ويتلقون عائدات من مسيلة، ومن بعض البقاع الأخرى »[6]، ورضي العرب أن يكونوا اليد التي يبطش بها الحكام ضمن سياسة تبادل المنافع، التي تحفظ للسلطة هيبتها، وللعرب مصالحهم الاقتصادية بجانب خصوصيتهمالا جتماعية[7].

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص89.

[3] صالح باجيه، **الإباضية بالجريد التونسي**، دار النشر بوسلامة للطباعة والنشرو التوزيع، تونس، ط1، 1976، ص14 . 16.

[4] محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص117، 118.

[5] الوزان، المصدر السابق، ص161.

[6] المصدر نفسه، ص 61.

[7] نور الدين كوسة، إشكالية المحددات الأنثروبولوجية لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، **مجلة عصور جديدة**، مج11، الجزائر، ع2، 2021، ص55.

استغلت العرب الهلالية ضعف السلاطين والقبائل البربرية، فازدادت أطماعهم أكثر لتوسيع الإقطاعات التي حصلوا عليها بموافقة من الدولة[1]، وكان نتيجة توسيع القبائل العربية للمناطق التي امتلكتها، وقوع الكثير من القبائل البربرية في إقطاعات العرب وتحت سلطة شيوخهم، ومنهم بني راشد وبنو توجين، وسيطرت قبيلة الثعالبة على سهل متيجة الخصب و قبيلة مليكش وخضوعهم لهم[2].

لقد تعدت شجاعة بعض القبائل العربية إلى ممارسة أعمال اللصوصية والاعتداء، ومن ذلك ما كانت تقوم به عشيرة عروة، التي كانت تقطن مستغانم « ورجالها متوحشون ولصوص، ولباسهم رديء »[3]، وهي نفس الصفات التي عرفت بها عشيرة عقبة، ضواحي مليانة « وينالون بعض المساعدات الصغيرة من ملك تينس، ولكن هؤلاء عبارة عن سفاكين مجردين من كل عاطفة إنسانية »[4].

4.3 . الفضائل الحميدة:

يعدد الرحالة الجغرافي ابن حوقل صفات حميدة تحلى بها الفرد داخل القبيلة التي كان يعيش فيها بقوله: « هذا إلى طاعتهم لمن ملكهم، فثقفهم ونفارهم عمن أهملهم وأغفلهم، وليس في بلدانهم من الفواحش الظاهرة، والتغاضي الأمور المنكرة كالعيدان، والطنابير، والمعازف، والنوائح، والقيان، والمخنثين، والفسق الشنيع ما بكثير من المواضع، وقد تعرض في بعض نواحيهم من التدهور الشديد، والجنون العتيد، وبذل السيف، وبدار الطيش، ويوجد عندهم فيمن رق أدبه، وحسن عمله، من هذا وجوه فاسدة، وحجج فيمن يقول به، ويستحسنه داحضة »[5]، وهي صفات السمع والطاعة والانقياد لمن أؤتمن جانبه، والترفع عن الصفات الذميمة فيما بينهم، وحسن الأدب والعقل في المجلس، كما تحلى الفرد في ظل القبيلة بقيم التسامح والابتعاد عن الذل، وعلو الهمة والأنفة والوفاء بالعهد، وإجارة اللاجئ، والصبر على المكاره، والثبات في الشدائد، وبر الكبير وتوقير الأولياء[6].

---

[1] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص211.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص74.

[3] الوزان، المصدر السابق، ص61 .

[4] المصدر نفسه، ص61.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص96.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع . الذهنيات . الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص120.

ومن جهته يشيد ابن خلدون بصفات البربر وهم المشكلون للقبيلة المغرب أوسطية بقوله: « وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية، وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم، مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم، ومراعاة المدح والثناء من الخلق، من عز الجوار، وحماية النزيل، ورعي الأذمة، والوسائل، والوفاء بالقول، والعهد، والصبر على المكارم، والثبات على الشدائد، وحسن الملكة، والإغضاء عن العيوب، والتجافي عن الانتقام، ورحمة المسكين، وبر الكبير، وتوقير أهل العلم، وكسب المعدوم، وقرى الضيف، والإعانة عن النوائب، وعلو الهمة، وإباية الضيم، ومشاقة الدول، ومقارعة الخطوب، وغلاب الملك، وبيع النفوس من الله في نصرة دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، لو كانت مسطرة، لحفظ منها إسوة لمتبعيه من الأمم، وحسبك ما أكسبوه من حميدها واتصفوا من شريفها، أن قادتهم إلى مراقي العز، وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت الأيدي أيديهم، ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم »[1].

5.3 . التضامن والتكافلالا جتماعي:

تنوعت صور التضامن بين أفراد القبيلة، الذي نجم عن ظروف الحياة داخلها إلى وجود علاقات تضامن، مما مكنها من اكتساب القوة، حيث ظل الفرد ينظر نظرة عدائية إلى كل الأشخاص الغرباء إلى حد القتال[2]، وحصل هذا التضامن نتيجة سيادة الملكية الجماعية في أماكن الرعي، والزراعة، والثروة، واقتسامها بالتساوي، وتعاونهم في زراعة حقولهم، أو جمع محصولهم، والدواب لحرث الأرض، وإعارة منزل لحفر مطامير لخزن الحبوب، واستغلال موارد السقي استغلالا جماعيا، أما عن طريق اقتسام الحصص، أو بالتداول حسب الأعراف القاضية بتسليف الماء[3]، وفي ذلك يقول صاحب مفاخر البربر : « ويكون البربر بالبوادي، ويرتفع بعضهم ببعض، فاصطلحوا على ذلك، وأقاموا متجاورين »[4].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص136.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ص225.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، ص22، 23.

[4] مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، ص196.

ومن صور التكافلالا جتماعي خلال المواسم والأعياد ما جرت عليه أن القبائل البربرية يبدون تعاطفا كبيرا مع الأسر المعوزة والفقيرة حيث يتصدق عليها من طرف جيرانها[1]، وقد كان شيوخ القبائل يشترون مما يجمعونه من مال لشراء ثور أو ثورين في عيد الأضحى ويوزعون لحومها على تلك الأسر[2]، واعتادت كل أسرة من قبائل زواوة عندالا حتفال بالمولود الجديد، أن يتوافد عليها الأهل والأقارب بالهدايا تسمى « الخير » من القمح والسمن والبيض والنقود، ويقيم والد الطفل مأدبة عشاء باللحم والسمن ويعيدها يوم ختانه[3].

3 . 6 . الكرم والإيثار:

ومن هذا المنظور تشير المصادر التاريخية إلى اضطلاع قبائل زواوة بظاهرة الكرم والتي طبعت سلوكات الأفراد[4]، وقد أكد ابن خلدون على انتشار هذه الظاهرة في إقليم البادية، ذلك أن سكان الحضر قد اختلطت نفوسهم بكثير من مفاسد الأخلاق والبعد عن الخير، لإقبالهم على ملذات الدنيا والانغماس فيها[5]، ومن ذلك أن قبائل زواوة جرت عندهم العادة، أن كل ما مر أحدهم ببستان جار له يقسم عليه بدخوله، ويجني له من الثمار والمزروعات[6].

وقد فند الباحث مفتاح خلفات ما ذهبت إليه بعض المصادر التاريخية بشأن المبالغة في إكرام الضيف، بتقديم أحد أفراد البيت للضيف ليبيت معه ليلته، في محاولة للانتقاص من شأن البربر[7].

---

[1] الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت 914هـ / 1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، ج2، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: حجي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص36.

[2] مؤلف مجهول، **سيرة زواوة**، ص 14.

[3] جودت عبد الكريم يوسف، 1992، ص320.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص98. الوزان، المصدر السابق، ص42.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص153.

[6] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص305.

[7] البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ / 1094م)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص64.

هذا إلى جانب صفة الخوف من العار، والحياد والحشمة، ولأجل ذلك خصصوا بعض عيون الماء للنساء فقط دون الرجال، لدى قبائل زواوة ما بين صلاة الظهر والعصر، وأن المرأة لا تسير في ركب الرجال إلا بولي، وإن قصدت بيت أبيها غاضبة لا يمكنها الخروج لقضاء حاجتها إلا بعد أن يردها زوجها[1]، لما كانوا شديدي الحفاظ على تقاليدهم، فقد لازمهم الحياد حتى بعد تحضرهم[2].

الخاتمة:

يمكن القول بأن القبيلة بالمغرب الأوسط شكلت وحدة انتمائية ذات خصوصية، ورابطة نفسية اجتماعية شعورية ولاشعورية، أثرت جغرافية المغرب الأوسط والظروف التي عرفتها على توزيع وتنوع القبائل، ودخول عناصر جديدة، مما شكل فسيفساء قبلية، إذ لعبت الملكية الجماعية القائمة على أساس وحدة الأرض، والمرعى، والمياه، دورا في الوحدة والالتحام بين أفرادها، الذين تحلوا بالشجاعة والنجدة في مواجهة العاديات الخارجية قبلية كانت أو سلطة مركزية، وإضافة إلى الأرض والنسب، قامت على أساس بعث العصبية القبلية، والتمركز حولها، وانسجام جميع الأفكار وتوحيد السلوكات، كما خضع الأفراد لشيخ القبيلة، الذي مثل السلطة الفعلية في تسيير شؤونها وإداراتها بمساعدة مجلس القبيلة.

[1] خلفات، المرجع السابق، ص307.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع**، ص120.

قائمة المصادر والمراجع:

. إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1994.

. إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخالا جتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت.

. إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع . الذهنيات . الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993.

. الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت 558هـ / 1162م)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة بريل، ليدن، 1866.

. أمينة كرابية، **المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون: دراسة نظرية تحليلية من خلال المقدمة**. مجلة أفاق، ع5، 2019.

. أمين كرطالي، **سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط**، دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2017 . 2018.

. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ / 1094م)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت.

. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، **طبقات مشائخ المغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، الجزائر، 1979.

. الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م**، ترجمة: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992.

. الوزان أبو علي الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005.

. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت 914هـ / 1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، ج2، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: حجي محمد، دار الغربالإ سلامي، بيروت، 1981.

. الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والا جتماعية**، دار المعرفة، الكويت، 2005.

. ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي (ت حوالي 368هـ / 978م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

. محمد الترسالي، القبيلة الصحراوية قراءة سوسيو أنثروبولوجية في النشأة والتطور، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والا جتماعية**، مج10، ع2، 2019.

. محمد حسن، **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، دار الرياح للنشر، ط1، تونس، 1986.

. محمد عابد الجابري، **العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1982.

. محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 2004.

. محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، سلسلة أطروحات الدكتوراه 41، ط1، بيروت، د.ت.

. محمد يحي مسلم، السلطة في المجتمعات البدوي، **مجلة أبحاث**، مج2، ع5، جامعة الجزائر، الجزائر، 2018.

. مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6 . 9هـ / 12 . 15م)**، المؤلفات للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016.

. موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ / 1311م)، **لسان العرب**، ج11، دار صادر، بيروت، 1444هـ

. مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986.

. مؤلف مجهول، **مخطوط سيرة زواوة**، مخ رقم: 1024، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

. مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للنشر للطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2005.

. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

. نور الدين كوسة، إشكالية المحددات الأنثروبولوجية لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، **مجلة عصور جديدة**، مج11، الجزائر، ع2، 2021.

. نور الدين النوري، القبيلة والسلطة ببلاد المغرب الأوسط الرستمي، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والا جتماعية**، مج1، ع4، 2020.

. عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1991.

. ابن العبري غريقوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983.

. عبد الكريم جودت يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط ما بين القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 . 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

. صالح باجيه، **الإباضية بالجريد التونسي**، دار النشر بوسلامة، ط1، 1976.

. ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن والحواشي: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.